

وزارة الثقافة
الهيئة العامة لقصور الثقافة
إقليم القاهرة الكبرى وشمال الصعيد
فرع ثقافة الفيوم

حتى إشعار آخر

مجموعة قصصية

عيد رمضان كامل



سيدي ..

أرجوك أنقذني منهم إنهم يأكلون طعامي ، ويشربون مائي ، ويتنفسون هوائي ، ويمتصون دمائي ويرسلون أعوانهم قبل أول شهر ويتركونني عارياً وليتهم يكتفون بذلك.

ولسيادتكم جزيل الشكر

أرسلت هذا الخطاب اليوم مرفقاً بشرح لظروفي المادية وفي انتظار الإجابة.

إهـــــداء

- إلي أروحهم الطاهرة .
- إلى يس ومريم .
- الصديق إبراهيم المطولي .

وزارة الثقافة

إقليم القاهرة الكبرى
وشمال الصعيد الثقافى

- حتى إشعار أخر
- عيد رمضان كامل
- الطبعة الأولى : ٢٠١٧
- الهيئة العامة لقصور الثقافة
  إقليم القاهرة الكبرى الثقافى
- تصميم الغلاف : محمد أحمد مرسى
- المراجعة اللغوية : عبد الكريم عبد الحميد
- الإخراج الفنى : أيمن محمد عيد
- رقم الايداع : ١٥١٠٢/٢٠١٧
- ترقيم دولى : 978-977-92-1165-7
- المراسلات :
  إقليم القاهرة الكبرى الثقافى
  شارع اليابان أمام قاعة سيد درويش
  الهرم – جيزة
  ت .ف : ٣٥٦٢٤١١٠

e-mail: klim_cairo@yahoo.com

حتى إشعار آخر

قصص

عبد رمضان كامل

العفاريت

بعدما أذَّن عم عبد النبي لصلاة الظهر، تركت الشمس مسكنها في السماء لتستقر فوق الأسطح والنخيل، يعود الآباء هرباً منها إلى رطوبة البيوت اللبنية، رغم حكايات الجدة العجوز عن عفاريت القيلولة المجتمعين عند شجرة التوت ورغم تحذيرات الأمهات نتجاهل هذا كله والشوق يقتلنا لثمرة النبق السمراء الصغيرة.

الولد ناصر ابن عم السيد قال:

- أنا عايز عفريت من عفاريت ستَّك يطلع لي.
- بس يَلَهْ لاحسن ياخدوك تحت.
- طب أنا عاوزُه يطلع كده وأنا أضربه زي ما الأستاذ مرسي ضرب الواد شحتة على الزلموكَّة لما ما عرفش يكتب إسمه.

ضحكنا ونحن نتخيل العفريت الشفاف يبكي مثل الولد شحتة.

تركنا وصعد شجرة النبق ونزل بسرعه ، لم يأت بشيء ، كدنا

نضربه وهو يصيح:

- أنا شفت العمدة جيّ من البندر.

تجاهل غيظنا وجلس يغني " الله حي عبّاس جي" حتى وصل إلى أن عبّاس هذا يضرب البمبة في مؤخرة العمدة وفي الذهاب والعودة.

ثم صاح:

- أنا عايز أعمل زيّ عبّاس ده.
- انت عايز العمدة يحبسنا في أوضة الفيران.؟!
- أوضة فيران إيه اللي العمدة والغفر بيخوفوكم بيها؟!

وافرض يعني إنّ فيه أوضة فيرانٍ ما أنا لسّه مموت فار في البحر الأسبوع اللي فات.

انتشرت الفكرة بيننا وبدأنا التخطيط العملي لها، ولما كنت الوحيد الذي يأخذ مصروفه في شكل نقدي كان حتماً عليَّ أن أشتري البمبة، اثنتين، واحدة احتياطية كما أوصاني ناصر.

ولما كان أبو البنت قشطة يغلق دكانه على البنك الحجري ، أخذتُ معي الولد علي وركبت على كتفه وطرقت طرقات قوية ، فخرج

علينا بـ"كلسونه" البنيّ وأعطانا البمب وهو يسبّ أمهاتنا والبمب والعيشة والسنين.

عدنا مسرعين حيث كان ناصر قد فرغ من توزيع المجموعة بأن يقوم الولد حكيم بضرب البمبة الثانية إذا فشلت الأولى ، ويقوم سعيد وجابر يرمي أكياس التراب إذا تجمع الناس .

اقترب العمدة ، كان طويلا ممشوق القوام ، له هيبة جعلتنا نتراجع عن خطتنا لولا أن ناصر رمى البمبة التي تجاوزت العمدة إلى مؤخرة الحمار الهادئ الخطوات فرفع قدميه الأماميتين لأعلى، وقع العمدة واتسخ جلبابه الصوف بـ"الجِلّة"، رمينا التراب وجرينا متجاوزين جُرن العمدة إلى البحر الصغير الدافئ وسمعنا العمدة يصيح في الناس التي تجمّعت فجأة حوله :-

- شوفوا مين ابن الكلب اللي عمل كده.
- يا حضرة العمدة دول لازم عفاريت مافيش بني آدم يقدر يدخل المدافن دلوقت.

- ما فيش حاجة اسمها عفاريت.
- دول عفاريت يا عمدة والتراب ده من ريح العفاريت ولا مؤاخذة.
- ادخل منك لُهْ هاتوا اللي عمل كده.

رأينا الناس يحاولون الدخول ويتراجعون ، ولإرضاء العمدة جلسوا فترة وراء قبة عالية وهم يتمتمون بشفاههم بكلمات مبهمة لصرف العفاريت واتقاء شرهم ثم عادوا إلى العمدة منفوخي الصدر:

- كله تمام يا عمدة ما فيش حد.
- تلاقيكم ما دخلتوش من أساسه بطلّوا تخاريف بقَى.

أدركنا أن العمدة هو الوحيد الذي لا يخاف من العفاريت لذلك أصبح يعود من البندر من الطريق الطويل الذي لا يمر بالمدافن وقد حمل صدره ورقه مطوية في مثلثات متداخلة على كلمات مطلسمة.

من مذكرات شخص غير مهم

(١)

سيدي ..

أرجوك أنقذني منهم إنهم يأكلون طعامي ، ويشربون مائي ، ويتنفسون هوائي ، ويمتصون دمائي ويرسلون أعوانهم كل أول شهر ويتركونني عارياً وليتهم يكتفون بذلك.

ولسيادتكم جزيل الشكر

أرسلت هذا الخطاب اليوم مرفقاً بشرح لظروفي المادية وفي انتظار الإجابة.

(٢)

أخرجت ورقة بيضاء ورسمت خطين رأسيين وآخرين أفقيين وكتبت الحل وإمكانيات الحل ومشكلات الحل.

١. عمل الزوجة: يمكن لزوجتي أن تعمل في شركة خاصة مع إمكانية عمل البنت الكبرى.

المشكلات: إهمال أعمال المنزل، فقدان القوامة، زيادة المصروفات.

٢. العمل بالنقاشة: يومية العامل خمسون جنيهاً تتضاعف عندما أحمل مقاولات.

المشكلات: كبر السن، نسيان الصنعة، مرض الربو.

٣. السرقة، المخدرات، التسول، الدعارة.

كنت مشغولاً جدا بهذا الأفكار لدرجة إنيّ لم ألاحظ دخول المدير الذي أمر بخصم ثلاثة أيام من راتبي حتى أنتبه لعملي

(٣)

قرأت رواية العنكبوت " لمصطفى محمود " وحلمت بأني ركبت آلة الزمن وعدتُ لعصر المماليك ، وكنت أعمل عند مولاي المصري تاجر الجياد، كنت أجيد البيع والشراء وركوب الخيل، وكان سيدي يترك لي تنفيذ هذه الأمور، كانت زوجتي تضاحك سيدتها؛ دلّت أسنانها البيضاء عن سعادة حقيقية، كنت أكثر سمنة، أكثر مرحاً، ،أبنائي يلعبون أمام خيمتي في بهجة وسرور.

(٤)

يوم عادي، صحوت على بكاء الصغرى برغبتها في شوكولاتة وأمها تصيح بأنها لا تجد فلوسًا للفول، تجاهلت الأمر وكأنه في مسلسل، غيرت ملابسي دون أن أتمكن من دخول الحمام المشترك، قابلت مندوب الكهرباء الذي هدد بأخذ العداد، أجلته إلى الغد لعلها تفرج.

وصلت متأخراً بفعل الأتوبيس وخصم مني اليوم، عملت في رتابة معتادة، وعدت ماشياً لأني لم أجد أي مليم في جيبي، وأصاب جسمي لزوجة من كثرة العرق ، قابلت صديقاً قديماً تضاحكنا بأسى.

نظرت إلى السماء وهتفت:

- مادمت موجوداً حقا لماذا تتركنا هكذا؟!

(٥)

بعد ابتسامة سريعة حدثني عن أهمية الإعلان في جريدته بالذات، أقنعني لدرجة أني ندمت على التأخير، علمت أن الإعلان الصغير في الصفحات الداخلية سوف يكلفني مرتب شهرين، سوف أستلف للمرة الأخيرة.

(٦)

للبيع

"مواطن مصري، طويل أسمر اللون، يعمل في شركة خاصة، يُجيد النقاشة، سوف يلبي طلبات سيده مقابل ماء وطعام، يمكن تقديم خصم لمن يشتري الأسرة بأكملها، الاستعلام عن طريق الجريدة".

دموع محبوسة

انفتحت طبقة الروج، نظرت من خلف نظارة طبية وقالت:

- والدتك اسمها إيه؟

بدون تغيّر في نبراتها الباردة قالت وهي تنظر في دوسيه:

- آه دي ماتت امبارح بالليل.

علامات استفهام تقفز أمام وجهه ورسائل من عقله لعينه بالبكاء لمحتها الطبيبة الشابة وقالت مستغربة:

- لو سمحت بلاش عياط علشان نفسية باقي المرضى والحق خلّص أوراقك.

جرى في الممر الطويل، تتداخلت في عقله الأفكار، لابدّ من إبلاغ الأهل، دار العزاء، المقرئ،مدير العمل ، الدموع تضغط على عينيه وليس الوقت مناسباً لإخراجها.

طلب أمه من المشرحة فأخبروه بأنه لابد من استخراج شهادة وفاة وتصريح دفن.

وجدهم يضحكون على نكتة بذيئة.

- أمي ماتت.
- وبعدين

"وبعدين إيه يا بقايا العصر الحجري" قالها محدثاً نفسه.

دخل في دوامة الروتين، الموظف الغائب، النسر المبهم، المدير المشغول، رشا أحدهم وضاحك آخر قبل الثانية كان قد ظفر بالأوراق.

في المغسلة طلبت منه السيدتان الجافتان مساعدتهما، ساعدهما بأن حمل جثمان أمه ووضعه علي المغسلة الأسمنتية آه لو تركوه يبكي لغسّلها بدموعه ، منحهما عشرين جنيهاً فرفضتا إلا الحصول على ورقة حمراء بخمسين ، أعطاهما أربعين جنيهاً على أمل أن تعوّض ! !

أخيراً هو وأمه، طول الطريق يمنحه الفرصة ليفرغ قربة عينيه لعلها تخفف عنه الضغط شيئا ، أخبر السائق عن وجهته،

واستعد لبكاء طويل.

وضع السائق شريطًا يحذِّر الذي يبكي على الميت من الكفر باعتباره اعتراضًا على إرادة الرب.

فكّر في أن السائق يوصل الأموات يومياً ، لاحظ نعومة خديه وقميصه الشجر، بدأ الحديث متباعدا ثم تواصل شيئاً فشيئاً ، الأسعار المرتفعة والخدمات المتدنية ،غياب البركة ، طلبات الأبناء ، قبل أن يصلا تجادلا حول أجر التوصيل ووصلا إلي حل وسط.

ظهرت ملامح قريته ، الكّل يعلم مدّى حبه لأمه، أنزلوها على باب المسجد، وضع وجهه بين كفيه وبدأ ينتحب.

عمه (كبير العائلة) حرر وجهه من كفيه وصاح فيه:

- إنت هاتعيّط زيّ النسوان ولّا إيه؟! إخواتك الصغيرين هايعملوا إيه لمّا يشوفوك وانت بتعيّط كده؟!

عليه أن يتحامل على نفسه إذاً، الجو الخانق، التراب الساخن، تلاقي الأيدي، نصب الصيوان، توزيع السجائر، علا صوت المقرئ

، أصبحت عينه مثل إسفنجة محملة بالماء ' اتخذ ركناً ، رأى رئيس المجلس المحلي متأبطاً عضو مجلس الشعب ، من العيب أن يظهر كطفل أمامهما.

في البيت يمكن أن تسير عارياً دون أن يلومك أحد، استعدَّت سحابة عينيه للمطر ولمع البرق، زوجته المتشّحة بالسواد جاءت بكوب من الشاي، وجلست تحكي له مفارقات النساء في عزائهن، ثم قالت بصوت بدا أمراً:

- والنبي يا اخويا بلاش عياط أنا ما صدقت نيّمت العيال لمّا عرفوا إنهم مش هايشوفوا ستّهم تاني قعدوا يعيّطوا، كده انت هاتصحّيهم .

على الهامش

قام من نومه فزعاً من حلمه الذي تكررً مؤخرا حذاء أسود ضخم يوشك أن يطحنه ، تخطّى أخته العانس، اصطدم بقدم أخيه خريج الحقوق العاطل.

...

نور الشمس يدخل بخجل للغرفة، خبط الصنبور الذي صفَّر وبخل عليه بالماء، دخل في ملابس رمادية.

قابله الشارع بالروث والقمامة وبائعات الفاكهة المتسرطنة، انزوى عند منزل "أشرف الحداد" الذي ملأ الدنيا صخباً أمس لختان ابنه.

وقف أمام بيت "صفية" علّها تنظر إليه من خلف الشيش فمنذ عاد أبوها الشيخ منصور من السعودية وهو يحرِّم عليها النزول للشارع إلا بالنقاب، مرَّ أمامه ضابط أمن دولة فارتعش جسمه دون داع . مرّ على عمر أفندي الذي يعرض نفسه للبيع. ! !

مرّ من أمام شركة السياحة التي تلقي بالشباب خارج الوطن بطريقة شرعية وغير شرعية ، تقتله لحظات الوداع حتى لو كانت عبر أشخاص لا يعرفهم ، تذكَّر أخاه الذي سافر إيطاليا عبر البحر ولا يرغب في العودة مرة أخري .

دخل المدرسة كان هناك مدرسان فقط، أمسك أحدهما بميكروفون الإذاعه نادَي على الطلبة — صفا — انتباه — على الفصول معتادًا مارش، أمسك أحدهم في بنطلونه وقال:

- أستاذ مش هانحيّي العلم؟
- مش النهاردة

الزوبان

هل التفاصيل مهمة؟

هل ستقرؤن تفاصيل وفاتي ؟ أم تكتفون بقراءة المانشيت الصغير وتمصمصون الشفاه وتطلبون من النادل تغيير حجر الشيشة؟

كنت أحد من يحملون أثقالا على ظهورهم ويعودون سيراً في الشمس الحارقة ، أصر أبي أن أدخل كلية تضمن لي الوظيفة الميري، فتركت الفنون الجميلة من أجل التربية، قابلتني الجامعة بقرار رئيس الوزراء بإلغاء التكليف عندما شكوت إلى عميد الكلية قال:

- انت واحد من عشرات الآلاف يتخرجون كلَّ عام بلا عمل.

أردت ان أحكي له أنني دخلت الكلية خصيصاً من أجل الوظيفة ولكنّه تركني وذهب غير مبال بما أقول.

كنت رقماً في دفعة ، عليّ أن أصيح به كلّ صباح، كنت واحدا في مؤسسة كبرى لرجل أعمال يهتف في قناته بحبٍّ مصر ودور الشباب، عندما قابلني كان يبدو عليه السُكْر طلب مني أن أصنع له عجين الفلاحة، حكيتُ لأصدقائي فقال لي عمر

:- بذلك سوف تنضم لتسعة ملايين عاطل أغلبهم خريجي جامعات ! !

وأكمل محمود: إنني لا أفهم، لماذا لم تفعل ما طلب؟

سيظلُّ الناس في الميدان المطلِّ على البحر يتبادلون التفاصيل في محاولة فاشلة لتجميع الصورة، سيراجع أفراد العائلة أخي أحمد في تفاصيل أيامي الأخيرة لمحاولة معرفة السبب، يجلس عمرو مع محمود يراجعان آخر لقاء:

- كان مكتئباً.
- كان يضحك.
- كعادته، يضحك ليداري اكتئابه.

لن يقول عمرو ساعتها المهم ، وبشكل عام سيقول لماذا أصرَّ أن يموت كافراً، يردُّ محمود عليه بأن الله لا يكلِّف نفساً إلا وسعها، والله سوف يحاسب كلاً منّا على حدة.

يصر الصحفي الشاب على أن الموضوع مهم ويجب أن يأخذ مانشيتاً كبيراً في الصفحة الأولى ، ومدير التحرير يقول له في هدوء ماذا عن شاب انتحر؟! كل يوم شباب ينتحرون ،خبر ليس صحفياً وليس مثيراً.

ها أنا أكتب لكم تفاصيل يومي الأخير، كان يوماً عادياً لقد انتحرت لأنّي لم أجد شيئاً أفعله، ذهبت إلى المقهى ولم أجد أحداً من أصدقائي، سألني النادل عن حساب الأمس ، فكرت قليلاً ثم قلت : اجعله على حساب عمرو ذهبت إلى مركز النت وجدت كل أصحابي "**offline**"، فشلت في تكوين صداقات جديدة، قال لي صاحب المركز إنه مضطر ألّا يدخلني حتى أدفع ما عليَّ من ديون، أجلته إلى الغد.

قابلتني سعاد بوجهها الملائكي ونظراتها الخجلى، آخر لقاء قالت لي عليك أن تتقدم فقط ، مشكلتك هي مشكلة كل الشباب ، حكيت لها أنني لست كباقي الشباب ، عليكِ أن تنتظري قليلاً.

علمت بعدها من محمود أنها خُطبت قال لي عمرو : بذلك ستنضم لعشرة مليون شاب تجاوزوا سن الزواج، أكثرهم لهم علاقات لم تكتمل.

عدت إلى البيت، مللت من الأغاني الجديدة والأفلام المملة .

لقد أثقلت عليكم بالتفاصيل وقررت الذهاب .

الزيارة

الليلة لن أنام، لن أسمح للنعاس باختراقي ، سوف أظل هكذا أقرأ كتبي المهملة وجرائدي القديمة ، وأشاهد الإعلانات المستفزة ، وأغاني الفيديو كليب المملة ، لن أقترب من زوجتي لابد أن أبقى هكذا للصباح.

لن أسمح لك اليوم بزيارتي كعادتك كل خميس منذ كنت طفلاً ، تأتي من مدينتك التي تربيَّ بها أجيال ، يجتمع حولك رجال القرية لحل مشاكلهم،بعدما يذهبون تضاحك أبي وأمي وتقرأ كتاباتي الصغيرة، تضاحكني وتباركني وترفع مقامي أمام أبي، تقول أمي لك:

- زيّك بالظبط وانت صغيّر، يقرا كتير ويكتب كتير ويسرح كتير.

نضحك جميعاً ونسمع سهرة أم كلثوم، عندما وصلت للمراهقة تقرأ

شكي في وجود الله والكون، لم تفعل نصف ما فعله صديقي محسن عندما حدثته عن النقاب كل ما قلته لي ساعتها:

- راجع تفكيرك في الموضوع.

صورك تملأ ألبومي " المعلم المثالي، رئيس المجلس العرفي، الخطيب المثالي."

لن أنام الليلة أبداً، كل ما يطلبونه مني أن أسكت فقط عن الجريمة التي عرفتها،التهديد من كل جانب ، يقولون لي إن : الهيئة كلها تعمل كذلك وسوف تفتح علي نفسك عدواة من الجميع ،يقول أصدقاء العمل : إن البلد كلها أصبحت لصوصًا ، وأنت لست مبعوثًا لتغيير الكون .

لم تعد الظروف مثل ظروفك، لم تحدثني يوماً كيف مررت بحياتك، ألم تسألك زوجتك يوماً مالاً أكثر من مرتبك؟ماذا كنت ستفعل لو كنت مكاني ، أعلم ولكن ..

زوجتي ،وأبنائي ،وأصدقائي وإخوتي كلهم يطالبونني بالسكوت، أعود من امتحاني لأجد مراسم دفنك "أو هكذا يقولون" قد تمت، أشك في كلامهم أتحداهم بأنك سوف تزورني يوم الخميس، بالفعل تفعلها وتأتيني، تسألني عن إخوتي وزوجتي، وأسألك عن أمي وأبي، فتبتسم ابتسامتك التي لا تحدُّها الكلمات، تواصل زيارتك لي متابعاً تفاصيل حياتي أكثر من زوجتي، أفتح عينيَّ وأتقلب في فراشي وأقلب صفحات كتبي وأشاهد التليفزيون ولكنني أبداً لن أنام سوف أظل ساهراً،

المطلوب مني أن أسكت .. لابد أن أظل .. ســـــــــــااااااه.....خ آ ، خ آ

شكي في وجود الله والكون، لم تقبل نصيحتي [illegible]

عندما حدثته عن التقاعد كل ما قلته لي ساعتها:

بأنه تفكيرك في الموضوع

[illegible] المعلم الشالي رئيس المجلس [illegible]

[illegible]

أن أنام الليلة أبدا، كل ما يطلبونه مني أن أسكت فقط عن الجريمة

التي عرفتها، التهديد من كل جانب، يقولون لي إن : الهيئة كلها

تعمل كذلك [illegible] على [illegible] من الجميع [illegible]

أصدقاء العمل : إن البلد كلها أصبحت لصوص، وأنت لست مجبرا

لتغيير الكون.

لم تعد الظروف مثل ظروفك، لم تحدثني يوما كيف صرت

عصاميا. ألم تسألك زوجتك يوما مالاً أكثر من مرتبك؟ ألا كنت

ستقبل لو كنت مكاني، أعلم ولكن..

حتى إشعار آخر

بقامته القصيرة ، وكفيه الأسودين من أثر برادة الحديد ، وملابسه المنطوعة على أنحاء مختلفة من جسمه، ينظر إلى محل الكباب الذي يمر عليه في طريق عودته من الورشة بمدخله المبلط بالرخام وزجاج واجهته الناصع المرسوم عليه اسم المحل وشعاره، وطاولاته الرائعات ، والقناة الفضائية التي تبث أغاني الفيديو كليب، والفتاة التي تحدث فتاها في همس وهي تمضغ في رشاقة من ساندويتش،حلم كثيرا أنه واحد منهم ، يشاركهم عالمهم في سلاسة وبساطة ، جمع يوماً عشرين جنيهاً وذهب بها إلى الشيف المرتدي ملابس بيضاء ناصعة، المبتسم دائماً ، عندما رآه كشر في وجهه وقال له:

- عايز إيه ياض؟!

- نفسي آكل كباب.

- الكيلو بـ ٨٠ جنيه.

- التمن بكام؟

- مفيش تمنَ أقل طلب بـ ٣٠ جنيه غور بقى من قدامي.

نظر بشغف إلى الجالسين كلّ ما يرجوه أن يجالسهم ، جمع ما تبقى من راتبه الشهري ، بعدما أخذت منه أمه مصروف البيت وأخفى عنها بقشيش الزبائن واستلف ـ ملابس ظن أنها نظيفة ـ من أحد العاملين معه بالورشة ، وتوجه للمطعم واثق الخطي رايح فين ياض؟

.. يطل النسر الراقد على كتفه بسخرية.

- رايح محل الـ .... الكباب.

- معاك بطاقة يا روح أمك؟

نقطة عرق تنطلق من قفاه تنحدر عبر ممر العمود الغضروفي ، لم يبلغ سن البطاقة رغم الشارب الصغير على وجهه، في السيارة الزرقاء التي يعلم أنها سوف تصل به إلى الحجز لأيام ، رشا أمين الشرطة بعشرين جنيها ليتركه يذهب، ومشى مطأطأ الرأس.

أنابيب

هزته زوجته بعنف لتوقظه ، صرخ فيها :

- هي الساعة كام يا وليّه ؟
- ستة يا خويا .
- لسّه بدري قوي ها روح فين الفجر كده.
- بدري إيه ده انت كده متأخرً قوي .
- ما تجيبي الأنبوبة من عم حسن وخلاص .
- الأنبوبة بـ٢٥ جنيه وفي المستودع بـ٤ جنيه بس .
- ٢٥ جنيه ليه؟! ده افترا أنا ها روح بس كمان شوية.
- من تلات أيام مش عارفين ناكل ولا نشرب ولا نحمّي العيال.

قام متثاقلا، ليس من عادته القيام مبكراً هكذا خاصة في الشتاء حيث يحلو له النوم في هذا الوقت، أخذ الأنبوبة وأشار لسيارات الأجرة ، وفي النهاية أخذ توك توك، كل طموحه في الحياة أن

يشتري موتوسيكل ، حينما وصل أعطى للسائق خمسة جنيهات.

صف طويل من البشر يدور بشكل ثعباني، حاول أن يتحايل ليقف في وسط الصف ولكنّ أحد لم يقبل، كان شكل الطابور رائعا أمام سيارة رمادية بفتحات مستطيلة يقف أمامها شاب بنظارة طبية قال له :

- هو الشعب المصري لو يقف في طابور كل مشكلاته ها تتحل.

أشار برأسه بالموافقة.

يكره هذا الصنف من الناس الذين يتكلمون كأنهم في التليفزيون، ويكره عبارات مثل حيث أن ، وليس إلا ، وفي الواقع وحقوق الإنسان ، والديمقراطية، فهو دائما يسخر من الموظفين والمثقفين، استوقفه صاحب النظارة قائلا:

- سمعت عن اتفاقية تصدير الغاز لإسرائيل.

- لا ما سمعتش ومش عايز أسمع أنا عايز أغير الأنبوبة وبس.

ظهر أخيراً الموظف المختص، مرتدياً ملابس ثقيلة ووراءه ثلاثة رجال يرتدون جلابيب وكوفيات وكان الصف قد أصبح بلا نهاية، أخيراً سوف يغيّر الأنبوبة ويتخلص من هذا الثرثار ولو كان هذا حاملًا معه لضربه بالمسطرين.

- شفت الفساد الموظف بيِّدي للتجار كده عيني عينك ، كلّ يوم بيديهم ميّة أنبوبة وبيكسب في الواحدة اتنين جنيه يعني ميتين ، وطظ في الشعب.

كان الرجال الثلاثة يُنزلون الأنابيب إلي التجار، منهم عم حسن الذي يبدل منه الأنابيب بأسعار مرتفعة، بدأ الرجال يأخذون الأنابيب من أول الصف لم تمر دقائق حتى تتداخلوا ، واحد من هنا ، وآخر من هناك حتى فوجئ بمن وراءه يجرون أمامه، تكدست أمام السيارة كتلة من البشر، ترنجات وقمصان وجلابيب وجواكت، كتلة واحدة صلبة ، كتلة مثل النداّهة تغريه من خارجها ثم تهشم عظامه داخلها ، كلما خرج واحد منها صاح "انتصرت" وكاد أحدهم أن يسجد شكراً.

قرر الدخول وسط الدائرة ، ساعده بنيانه القوي أن يخترق الدائرة حتى اقترب من باب التوزيع ، أحس بسعادة غامرة وبدأ يقدم أنبوبته إلا أن أحدهم خبط مؤخرة الأنبوبة في رأسه، فأفقده تركيزه للحظات وجد نفسه فيها خارج الدائرة ، وعندما عاد للوعي دخل مره ثانية إلي الدائرة المتوحشة حتى وصل للباب مرة أخرى ولكن أحدهم أعلن صائحاً :

- خلاص الأنابيب خلصت النهارده .

تفرق الناس وإحدي السيدات تقّبل يد الموظف ليعطيها أنبوبة والموظف لا تتحرك له شعرة.

تحرك الجمهور ببطء ، أخذ التوك توك ولما وصل قال لزوجته :

- صرفت عشر جنيه ومعرفتش أغيَّر.

سمع زوجته تغمغم بصوت نصف مسموع "يا موكوس".

نظر لساعته ، تجاوزت الحادية عشرة ، لن يذهب إلي العمل اليوم ، أشعل سيجارة وأطلق دخانها ، وأخذ يفكر في كلام صاحب النظارة.

تاكسي

كان عم أحمد يختار زبائنه من بين الذين يشيرون إليه رجالاً كباراً محترمين وسيدات فاضلات أو أسرة، ولا يرغب أن يركب معه شباب مائع ، ولكنه في تلك الليلة لن يختار عليه أن يعمل أكبر فترة ممكنة حتى يستطيع أن يجمع ثمن العملية لابنه.

قال له الدكتور صارخا :

- ابنك عايز قسطرة في القلب، ممكن تعملها علي نفقة الدولة ، بس طبعا لازم تدفع علشان تخلص قبل ما ابنك هو اللي يخلص ، علي الأقل جهّز خمستلاف جنيه.

أفاق علي قفاز يشير إليه يتصل بعباءة سوداء أنيقة ومحتشمة معاً لإمرأة بين الثلاثين والأربعين، هكذا قدّر سنّها، جسدها بدين في اتساق، ركبت في الكرسي الخلفي وحدثته عن وجهتها، إنها قرية بعيدة أراد أن يتفق معها علي المبلغ ولكنه تراجع فربما تعطيه أكثر، أدار مؤشر الإذاعة نحو إذاعة القران كما هي عادته ليلا فهو

ينزل العمل ظهراً ولا يعطي التاكسي لأي سائق ، والباقي من إيراد التاكسي بعد خصم المصروفات وغرامات المرور ، يكفي بالكاد أسرته المكونة من زوجته وابن في الجامعة وابن في الثانوية وآخر في الإعدادي، أصابه إغماء ذات يوم ليكشف عن مرض قلبي عليه أن يركّب له قسطرة، نظر إلي السماء داعياً.

أشارت للمنزل، أعطته أجره بالضبط وكأنها تعلم الأجرة جيدا لم يتكلم ، ليس من نوع السائقين الذين يثرثرون بمشاكل الحياة ولا يشكو إلا لله.

لو أعطاه زبون أقل من أجره يتركه لعله غلبان، بعد أن تجاوز كيلو مترًا لمح (بوك) لابدّ أنه لتلك المرأة ، الأمانة تفرض عليه أن يعيده.

صراع نفسي داخله، هل يعالج ابنه بمال حرام؟ أم يعيد (البوك) بما فيه لصاحبته؟

وفي نهاية الأمر عاد وهو يأمل أن يأخذ مكافأة علي أمانته خاصة أنها ألف دولار أمريكي كما عدّها ، وصل إلي البيت ، لاحظ

فخامة البيت بالنسبة للقرية، مسلحٌ وسلمٌ عالٍ ، دقّ الجرس لم يرد أحد مرّت فترة كالدهر حتى خرج عليه بشارب كث وعينين حمراوين من أثر النوم:

- إيه في إيه؟
- أنا لسه موصل مدام هنا وهي نسيت فلوسها.
- نعم مدام إيه؟ مفيش حد خرج ولا دخل ، هي الساعة كام أساساً؟
- يا عمنا الساعة داخلة علي واحدة الصبح بس أنا لسّه موصل مدام محترمة عندها حوالي خمس وتلاتين سنة لابسه عباية سودة
- ها يقول مدام تاني يا عم انت رايق ولاّ شارب حاجة روح لحالك أنا عايز أنام.
- يا عم أنا متأكد.
- طيب استنّي هنا.

غاب لفترة طويلة ، عقله يذهب ويأتي بأفكار غريبة، ربما يطلب البوليس وربما يخرج عليه بسلاح هل يأخذ تاكسيه ويجري؟ أم

ينتظر مصيره؟

خرج الرجل وهي وراءه لابسة ملابس بيتية جميلة.

- مفيش نسوان هنا إلا ديَّه مراتي ، كلِّمي يا ست شوفي الراجل المجنون ده.

- أيوه في عرضكِ إنتِ كنتِ راكبة معايا في التاكسي ونسيت البوك بتاعك خديه الله لا يسيئك .

نظرت إلي الرجل باستغراب وكأنها تستفهم منه، وكأنه يتكلم بلغة غريبة عنها، وعم أحمد يكاد يجن مما يحدث أمامه

- يا عم إنت بتتكلم عنّي ؟.. أنا لا خرجت النهارده ولا شوفتك قبل كده.

- أنا قلت كده وهو مش مصدق .. عيب راجل في سنك ويشرب.

قال ذلك وأغلق الباب في وجهه حتى لامس أنفه، ركب التاكسي ونظر إلي السماء وابتسم

الحذاء

بعد شد وجذب مع صاحب التاكسي وصلنا إلي حل وسط، أحسست بالهزيمة 'ليس من عادتي ركوب التاكسي ' إنما اضطرني لذلك خوفي علي بذلتي الجديدة وحذائي اللامع.

علي بعد خطوات يوجد منزلها، تلك الشريفة العفيفة التي رفضت أن أقابلها ولو لمرة واحدة خارج منزلها، بعد رحلة طويلة مع المراهقات والعاهرات والمثقفات أتزوج بهذا الشكل التقليدي، الآن تطبع الروح تحت مباركة أمها، أخواتها البنات يعددن العشاء والحلويات للعريس المنتظر ، صديقي الساخر قال:

- هتدخل القفص برجلك يا معلم استحمل بقي !!

علي بعد خطوات يوجد منزلها، صديق العمل ابن عمها وصفها بأنها جميلة، لا تخلو من ثقافة، سيدة بيت ممتازة، الساخر قال:

- بص كويس لكعب رجلها .. جمال المرأة يبدأ منه.

فول الغداء أخذ دورته بالكامل ووصل إلي القاع، لن يكون لائقاً أن أطلب منهم دخول الحمام، أذان العشاء ينطلق في الأفق في ظل تشاغل تام عنه، خلعت الحذاء والشراب وانتهيت، عدت حاملاً الجاكت علي يدي.

واجهتني ثقوب سوداء بحدة وشراسة، عدت وحاولت تذكر فرائض الوضوء ، الإمام يتجاهل الدعوات لإقامة الصلاة ، قبل أن أهم للخروج أُقيمت الصلاة ، حاولت الخشوع متذكرا تفسيرًا قرأته منذ سنوات، ألحَّ عليَّ الساخر إن أتكلم عن الدين باحترام ،وقفت أمام الجذامة ، رجعت الأحذية شباشب بلاستكية عدت وصليت السنة سريعاً،هل أخرج بقبقاب ، قلت للبائع ضاحكا :

- ثمن هذا الحذاء مرتب شهر كامل.

قمت ، ذهبت ، جلست ، عدت ، بحثت دون جدوى، طاردتني فكرة أن يكون شيخ المسجد يقاسم حرامي الأحذية، كان هناك آخر ينام في هدوء في أقصى المسجد عليّ أن أسير بثقة إليه ارتديت الشراب وأخذته تحت إبطي.

قبض علي كتفي ، كانت لحيته ملقاة علي وجهه ، وكانت عيناه تحملان حكماً قاسياً.

ليلة الخميس

طوبي للمشائين بجوار الحوائط، طوبي لجاعلي آذانهم من طين، طوبي للغرباء في أوطانهم ، وطوبي لهذا الشاب الذي تلقَّى ابتسامة المدير الخبيثة في حيادية تامة، دائماً المدير يذكِّره وهو يعطيه راتبه الأسبوعي ، أنه يتركه يمشي ساعة مبكراً عن ميعاده دون أن يحاسبه عليها، ودائماً هو لا يقول أنه يعمل ساعتين زيادة دون حساب إضافي.

ترك المحل تتابعه ابتسامات العاملين معه الشباب والكبار ، وقف أمام محل بائع الجرائد ، نظر باستغراب إلي أولئك الذين يشترون الجرائد القومية والمعارضة، ما الذي يجعلهم يدفعون فلوسهم في تفاهات؟

تذكر مديره الصباحي في المجلس المحلي الذي يشتري صحيفة الأهرام منذ عشرين عاماً،

أخذ جريدة عن أخبار حوادث الدعارة ومجلة أجنبية أخرى لا يعرف اسمها ولا يعنيه إلا الصور التي تحتويها.

مر من أمام سينما تعرض فيلمًا اسمه "الرغبة" تظهر المثلات علي الأفيش شبه عرايا.

انحني عند مقهى صديقه القديم ، إنه اللقاء الأسبوعي الذي يجتمعون فيه ، في حجرة داخلية تابعه للمقهى يتبادلون سجائر الحشيش وأعينهم علي الدش الأوربي ،يعتبرونه زعيمهم لقدرته علي شرب أكبر عدد من السجائر ولفوزه في مباريات الدومينو والطاولة، لدية مهارة خاصة في اللعب ، يقولون له :

– أيوة يا سيدي ، سعيد في اللعب وسعيد في الحب

قدم له صاحب المقهى سيجارة حبلى بالحشيش قائلاً:

- جرّب الصنف ده .. ده بيعلّي الدماغ وبيعلي حاجه تانية.

- أيوه واحنا في ليلة مباركة.

خرج يسير بخطى واثقة ، يستغرب من الأفلام التي تعرض شاربي الحشيش يترنحون في سيرهم.

مر علي صيدلية الواقف فيها صديق من أصدقاء الدبلوم، يمر عليه كل خميس يتحدثون عن أحوالهما ويتابعون آخر أخبار أصدقائهما كل مرة يعطيه برشامة خاصة.

- المرَه دي جرّب النوع المصري ده .

- أنا بخاف من الصناعة المصرية ؟ .

- أنا معاك إلّا في الموضوع ده .

مرّ بمحل الكباب الذي يمر عليه كل أسبوع ابتسم له الشيف، لن يستطيع أن يشتري كبابًا اليوم عليه أن يكتفي بلحمة الرأس.

صعد إلي شقته الكائنة بالدور السابع، أخذها عالية لرخص إيجارها، وضع الصحف وسيجارته والبرشام واللحم ونظر إلي زوجته النائمة وبجوارها أدوية الضغط والسكر نظر إلي جسمها الذابل من تأثير تصحيح الكراسات ومسح الصحون، نام علي كنبة الأنتريه في خمول.

ست رصاصات

كل ما أحتاج إليه ورقة وقلم ومسدس به ست رصاصات يمكن به إن أقضي على هؤلاء الذين قتلوني يجب أن أقضي عليهم قبل أن يتمكن أحد من القبض عليّ فلن أسمح لأحد بقتلي حتّى لو كان قتلا شرعيا.

كل الشواهد تؤكد لي أنه..... كلما صنعت له كوب القهوة المخصوص أعود بعد فترة لأجده كما هو كلما تحسست موضع قدميه لأقبلها لا أجد شيئا بين يدي .لقد مات أبى بالفعل .قبل أن أتجاوز مرحلة الحزن جاءني عمى سألته عن أموال أبى في السوق فقال لي:

- أبوك مَلوش فلوس عندي أنا كان ليّ ألفين جنيه سبتهم ليك لوجه الله .

- بابا قال لى إنه كان له فلوس عندك وانت الوحيد اللي عارفهم كام .

-عندك دليل على كده .؟

وطوى مسبحته وذهب .

– البحث اللي انا عملت يا دكتور يؤكد إن حضرتك غلطان ؟

--غلطان

--مش غلطان قوى بس نتيجة حضرتك مش دقيقة.

--أنا مش هَرد عليك دلوقت .

وجاء الرد عندما رسبت في مادته ومادة ابنه لتستطيع نشوة الحصول على مكاني كمعيد.قابلني ، رفعت وجهي الآخر فأنا الأول دائما وهو الأخير دائما ، دهش عندما رآني ، وضحك عندما حكيت له قال وهو يتمزق ضحكا :يا مغفل أنت متنفعش لسرير الدكتور.

نشوة هي اللي تنفع .

***

– معاك إيه يا بنى ؟

-- الباءة.

--يفتح الله .

– إذا جاءكم من ترضون دينه ....

-وأنا لا يرضيني

--- بس إنا بحبها وهى بتحبنى .

---إيه السفالة ديه سيبني يا بني عشان الحق أصلى بالناس العِشا

***

وضاعت محبو بتي للأبد

***

– عاملي فيها قانوني يا ابن الـــ ....

-هو اللي تحرش باختي وانا معها .

-جاي هنا تعمل فيه محضر أنت مش عارف هو مين ؟!

عندما خرجتُ تمخطتُ كرامتي في منديل ورقى ...

وألقيت به في صندوق زبالة

***

المؤامرات تحاك في النور .أجمعوا على التخلص مني دون سبب تحت ستار الثقة ، أرسلني المدير في مهمة خاصة ،.قابلني صاحب المحل على الباب دون سماع لكلامي فصلني من العمل وأنا أودع أصدقائي كان هو يتصل بشخص مجهول قائلا :ممكن تبعتلى ابنك فضي له مكان في المحل .

لا تسألني كيف جمعتهم , ولا تسألني كيف استطعت أن أربطهم جمعيا في كراسي غرفة جلوسي المتواضعة .كل ما أتذكره صوت الرصاص وهو يبعث النشوة في جسمي ، وأصوات صراخهم وهم ينتظرون لحظاتهم الأخيرة ، نظرت في المرآة وصوبت فوهة المسدس على جبهتي وأطلقت الرصاصة الأخيرة فانتشرت شظايا المرآة على خمس صور متقطعة على الأرض .خرجت للشارع،

كانت الشمس تشرق من بعيد.

الدقائق الأخيرة

١ | ٥٦

قام من استرخائه على كنبته البلدي، نظر إلى الكتب الراقدة في خمول على رفوف المكتبة المتربة وروشتة الدكتور وأغلفة التحاليل والأشعات، في طريقه للحمام تذكر جلسته الطويلة منتظراً الدخول كأنه ينتظر الإعدام، في المرة السابقة بعدما وضع سماعته انفتح الشق الكائن بين الشارب ولحية صغيرة منسقة قائلاً:

- سليمة إن شاء الله، هاكتب لك على تحاليل وأشعة تعملها.

اللعنة على صديقه الذي نصحه بالذهاب إلى هذا الدكتور بالذات لأنه يعرف ربنا، تلقى الماء من الصنبور وألقى به في عشوائية على وجهه، الشمس تسلط ضوءها على عاشقين فتفضحهما، قبل أن يغلق الخط قال الأول:

- ايه أخبار صاحبك؟
- قصدك رفعت شكري .. ما شفتوش من فترة، قريت

روايته الأخيرة.

- قرأت العدد الأخير من جريدته عارف أنا باقترح نكرمه في المؤتمر الجاي.

- آه .. فكرة كويسه هو احنا لازم نموت علشان نتكرم .؟!

أنثى العنكبوت تذهب وتعود وتفكر في بناء منزل لها في المسافة الواقعة بين سقف الحجرة وسقف المكتبة، أحدهم يصيح بالخارج دون أن يتبين لأحد ماذا يبيع.

١ : ٥٧

يعود من الحمام تتعثر رجله في حصير، الدكتور ينظر إلى التحاليل والأشعة، تختفي الابتسامة المرسومة بحساب ثم تعود، يعود "للرغي":

- فين المدام؟

- مش متجوز.

- ساكن مع مين؟

- أبويا وامي ماتوا من زمان واخواتي كلهم مشغولين مش بنشوف بعض إلا في الأعياد وأول رمضان.

- طب ما تجوزتش ليه؟

(لابد وأنه ابن حلاق) أخيراً صرخ:

- وبعدين يا دكتور أنا عندي إيه؟

- بص أنا بحب أصارح المريض وأنت إنسان مثقف ومؤمن .. أنت عندك تليف في الكبد.

آه يا أبي تركت لي شيئاً يذكرني بك "مرضك الأخير"، التقيؤ في منتصف الليالي، تبول الدماء والصديد، معاناة في إدخال الطعام وإخراجه، إخوتي في أحضان زوجاتهم وأنا أتحمل كل هذا مقابل دعائك لي.

شاب ينتظر فتاته التي يحدثها على الياهو منذ أسابيع ، وأخيراً وافقت على لقائه يفرغ قرطاس اللب ويقرأ ما بداخله (قراءة في فلسفة نيتشه ، كتب رفعت شكري).

كان أبي يقول لماذا لا تعطيني سماً أو حقنة هواء لكي أستريح

وتستريح وأقسم لك أني سأسامحك، الغرفة ممتلئة بأناس يحملون بطونا منتفخة وأوجها نحيلة لهم نفس الشكل تقريباً،

قبل موته كان قد ملأ الحجرة ماءً وصديداً من فمه ومؤخرته، المرضة تنظر باشمئزاز والطبيب المتثائب، نصحني أن أخرجه ليلاً بدلاً من البهدلة.

المهندس شحاتة يرسل رسالة على الإيميل ويمصمص شفتيه ويقول متى أعود الي مصر أجالس أمي وزوجتي وأشرب شيشة مع رفعت صديقي.

المحافظ يطلب من مدير مكتبه أسماء مثقفي المحافظة لإعداد مؤتمر يشرفه رئيس الوزراء.

عاد إلى الكنبة البلدي، عليها مارس أول تجربة جسدية مع فتاة إعلانات جريدة قومية، تُرى أين هي الآن لعلها تعد الغداء لخطيب ابنها وتنتظر عودة الأصغر من الإعدادية، تلاحق ذاكرته تجارب الجنس، اكتشافه لعضو قابل للتمدد بفعل اللمس، التصاق الأفخاذ، أفلام البورنو، قبلات الجامعة الساخنة، زوجة صديقه

الذي ذهب إليه ولم يجده، فتاة الليل التي تطلب مقالاته ورواياته. محموله بلا نبض، هل اعتبره الناس ميتا، على هذا الحصير كان يجلس يومياً ثلاثون شخصًا يتبادلون الشعر والنكات وبرامج الحزب الجديد والحشيش والأفكار الثورية وفضائح غرف النوم.

رئيس تحرير جريدة كبرى يطلب ضخ دماء جديدة من الأقاليم، إبراهيم الصيدلي يدون في كراسة الديون (رفعت شكري دواء بمائة جنيه وسم فئران).

يصيح:

- بابا عايز أشوف عمو رفعت.
- فكرتني يا أبني أنا ما شفتوش من شهر هانعدي عليه آخر النهار.

فأر يخرج من موتور الثلاجة المتعطلة ينظر حوله ثم يعود، الشمس تخطط لغزو الشقة.

كتب سطرين من مقال جديد ثم توقف، من السهل أن يعرف كيف ستسير الأيام المقبلة، سوف يجمع ما لديه من مال وينفقه في مستشفى خاص تنهال عليه فيها زيارات الأصحاب والأخوة والأهل والورود والدعوات وتكتب الجرائد وربما بعض البرامج عنه.

ينفد ماله وينساه الجميع وينشغلون بمواضيع أخري فيطرق كل باب يعرفه لكي يعالج على نفقة الدولة يتركه الجميع مع الدم والقيء ونظرات الشفقة ونداء بائس على طبيب لا يأتي.

حقنة زرقاء تدخل مؤخرته صباحاً ومساءاً،وطعاماً بلا طعم،وعلاج لا يشفي.

محمود طالب الطب يرسل قبلة في الهواء لفتاة صغيرة تتلقاها في استحياء مصطنع ، يمسك القلم ويكتب بيتين شعر ثم يتوقف، يحاول دكتور الماجستير أن يثبت لأستاذه أن اكتشافه لعلاج تليف الكبد سوف يحدث ثورة طبية.

يفكر في حياته، أصدقائه، إخوته، الله في الأعالي، أمن الدولة، الشيوعية، الحشيش، لحظات الصفاء، شهادات التكريم، لحظات القذف، يرفع سم الفئران إلى فمه، غصة في الحلق وتمزق في البطن.

ملك الموت يصل وينظر إليه في شفقة ، يقوم، يترنح، يجلس، يقع بالكرسي، تخبط رأسه في المكتبة يقع جسده على الحصير ويفترشه.

يسأل أباه :

- بابا نفسي اعرف مين اللي معاك في الصورة ؟
- ده صاحبي رفعت فتحنا مع بعض الشركة دي من خمستاشر سنة ، وبعد شهر دخل المعتقل في تنظيم شيوعي ، لما طلع قال لي "شكلي كده هاشبهك"، بعدها اتجوزت مامتك بس هو عمل خير وما تجوزش، أنا هابقى آخدك عنده واخليه يقرا القصص اللي انت بتكتبها.

العنكبوت يخطط لتوسيع بيته في المسافة الكائنة بين المكتبة والشباك، الشمس تتجاهل فكرة غزو الشقّة وتبتسم من فتاة تجري وراء أتوبيس، داخل الحزب الوطني يلقي بالنرد ويحكي:

- أنا قلت له يا رفعت خليك معانا أحسن تخدم نفسك وتخدم ناسك بس هو ما سمعش الكلام.

يرد التحية العسكرية ويصيح:

- انتو نايمين على ودانكم شوفوا كتب لنا إيه في مقاله الأخير شدّوا ودانه شوية.

أقوال أخرى

(١)

صابر عبد الراضي – ٥٢ سنة – مدير مدرسة شكلي مبهدل صحيح، بس أنا مدير مدرسة، أنا كنت عند مدير الإدارة علشان يساعدني أسوّي معاشي، ممكن أجيب لك منه جواب مختوم بختم النسر، عايز أجوّز بنتي صابرين عندها ٣٢ سنة كل ما يجيلها عريس ما نعرفش نجهزها، بعد ما سبت المدير رُحت عند مقام مولانا علي الروبي أدعي عنده بالرزق الحسن، السرعة هي السبب يا باشا الواد الغلبان لو كان صبر على الجنيه ما كنش حصل حاجة، والواد صاحب العربية لو ضرب فرامل، وصبر شوية بس القدر كده.

أنا مقبوض عليّا ولّا إيه، ممكن أروح لعيالي ؟!

(٢)

محمود المنسي – ٢٩ سنة – خريج حقوق، لأ مش شغّال حاجة من ساعة ما تخرجت اشتغلت حاجات كتير بس مصاريفي كانت أكتر من المرتب أنا كل يوم باصحى العصر كده أقف في البلكونة لحد العشا، أخرج على البحر وبالليل أروح عند أي حدّ عنده كمبيوتر أو دش نقضيها لحدّ الصبح.

الجنس هو السبب يا باشا، رضا بتاع محل الكشري ساب الزباين وجري علشان يشوف بنت حلوة كانت لابسة بَدي وشورت، سرح بخياله طلع منديل ورق وقعت منه ورقة صفرا ميل علشان ياخدها جات عربية أنا عارف صاحبها عيّل سيس كل يوم بيحاول يعلق بنت وياخدها في العربية أكيد كان مستعجل علشان يقابل بنت.

(٣)

جرجس خير الله – ٣٧ سنة – رجل أعمال، صدقني يا باشا الواد هو اللي غلطان، أنا كنت مع صاحبي محمد يوم الحدّ قبل القدّاس بحوالي ساعة كده، عدّينا على جامع علي الروبي على فكرة ده كان كنيسة للقديس روبيل، كنا رايحين لناس في الفندق اللي على البحر علشان صفقة كنا هانكسب نص مليون جنيه.

الناس عمّالين يتصلوا على الموبايل وعلى تليفون العربية، الصفقة ممكن تتطير في ثواني ومرة واحدة لقينا قدامنا شاب وقع منه جنيه واقف قدام العربية في لامبالاة محمد ضرب فرامل بس ما لحقش. خلّيك انت مكانّنا، صفقة كبيرة وناس مستعجلين وزحمة مواصلات، صدقني الواد غلطان، ده الكارت بتاعي لو عُزْت منّي حاجة.

(٤)

سيد خيشة – ٢٤ سنة – عامل في محل كشري أنا وأستاذ رضا بنسلّم بعض، أنا بقول له يا أستاذ أصله متخرج من معهد عالي ملقيش شغل وأبوه مات راح شغال معانا سلّمني الساعة تلاتة وكان مبسوط قوي لأنه جمع بقشيش عشرة جنيه وقال لي إنه ها يحتفل بعيد ميلاد أخته وقعد يحكي لي عنها، قال لي إنه ها يشتري جاتوه سألني عن طعمه قلت له ما اعرفش سلّم عليا وسابني ومشي ولقي الجو حر بره طلع منديل من مناديل حمامات المطعم وقع منه جنيه، صاحب العربية الشيك ما هموش أنه يفرمل وداس عليه. والنبي خليهم يهتموا بيه في المستشفى الحكومي أصل الواحد بيخاف منها.

(٥)

ناصر الأسيوطي – ٣٦ سنة – صحفي وأديب، أنا كنت راكب الميكروباص شدّني شكل العربية أول مرة اشوف زيّها في محافظتنا ولما وصلت لجامع علي الروبي – على فكرة أنا مرة عملت تحقيق إن الجامع ده تحته آثار فرعوني – مرة واحدة لقيت شاب شاف جنيه في الشارع جري عليه ياخده بس صاحب العربية زي أي رأسمالي ماهموّش العامل هاياخد تعويض كام يعني، الواد السوّاق عمه رئيس جمارك بورسعيد وخاله أكبر مستورد للملابس الجاهزة وأخو جرجس صاحبه مدير بنك وجوز خالته نائب من نواب القروض، العامل الغلبان ذنبه إيه وفين حقه في البلد دي. ممكن لو سمحت يا باشا أطّلع على أقوال الشهود علشان التحقيق اللي عامله في صفحة الحوادث.

(٦)

أحمد النجار – ٤٥ سنة – صاحب محل خشب، أهي بترزق الشهر اللي فات حسبت اللي كسبته لقيتـه زي مرتـب أي صبي مـن صبياني، الأسعار غلـت والضرايب رفعت والواحد مـا بيرضاش يرفع على الزبون.

التعصّب هوّ السبب، أصل الواد رضا إتلم على شوية عيال من اللي بيربوا دقنهم وبيلبسوا قصيّر خد منهم شريط للشيخ كشك شغله في المحل كان واحد مسيحي قاعد قال له إطفي الشريط ده، راح هو رافع الصوت، في اليوم ده طقّت في دماغي آكل كشري، رضا جـاب لي طبق وصايه عطيت له حسابه وعطيت له جنيـه بقشيش، كـان المسيحي جايب شلة معاه في عربية ملاكي وقعدوا يتريقوا على رضا فشتمهم حبّوا يهوشوا عليه بالعربية خبطوه.

لم يكمل حلمه وقـام ، الشـمس تتسـلل بحيـاء إلـي شقته، نظـر بـاشمئزاز إلـي سرواله المتسخ بفضـلات البراغيـث والمنيّ دخـل الحمَّام، فتح الصنبور الذي أطلق صفيراً دون مياه ، دخل في ملابـس رمادية قابله الشارع برائحة عفنة ناتجـة عن اخـتلاط مـاء المطـر بالقمامة بالروث .

انتظر السيارة طويلاً ، مرّت أمامه دراجـة بخاريـة نشـرت ميـاه صرف كانت في وسط الشارع علي بنطلونه وحذائه، أخيراً وقف له سائق أجرة عندما نـادي عليـه التبـاع قـائلا (وعنـدك جنيـه علـي الأرض) ذلك النوع من السيارات عبارة عن سيارات ربع نقل لنقل البهائم والبضائع ، يقوم أصحابها بتعـديل لهـا عـن طريـق وضـع سقف صاج وكراسي لتنقل البشر كانت السيارة مكدّسة بـأكوام مـن اللحم المتداخل رفض السائق السير إلا إذا ركب الأستاذ، تذمر منه

الركاب وبعد جهدٍ وسعوا له مكانًا يليق بطفل انحشر بين ردف امرأة وبنطلون ميكانيكي أحس بشيء تحت رجله ثم تبين له أنه خروف صغير، كانت المرأة تفاصل جارتها في ثمن البطة رفعتها في الهواء فنشرت روثها علي قميصه، قالت ضاحكة:

- إحنا آسفين يا أستاذ.

حاول أن يفهم ما تقوله السماعات الصاخبة التي يفرضها السائق علي الركاب لم يسمع إلا صوت نشاز يغني لأم كلثوم توقف عند كلمه سترانا وكررها لتبدو كأنها سكرانة

توقف السائق فجأة وطلب منهم النزول طلبوا منه مواصلة السير، قال :

- فيه ظابط في الموقف ولا انا ولا العربية معانا رخص.

واصل باقي الطريق سيراً، وصل متأخراً لاحظ قيام الفراش بعادته اليومية من حرق القمامة في فناء المدرسة بعد أن يطلب من الطلاب

تجميعها .لاحظ جفاف الشجرة الوحيدة في المدرسة ، قابله المدير بوجه متجهّم ، لا يتذكر أنه رأى هذا المدير يبتسم مرة، يعتقد انه يخشي الابتسام ، حذره المدير من التأخير مرة أخري وإلّا حوله للتحقيق وأبلغه أنه كتبه غيابا اليوم

رغب أن يحكي له ما حدث في السيارة ولكن تراجع وهدد المدير أنه سوف يشتكي إلي الإدارة من وقائع فساد يعلمها جيداً، وكتب بها مذكرة جاهزة.

دخل الفصل ، كانت رائحته نفّاذة لقربه من حمامات الأولاد، وكانت أعين الطلاب تحمل "عُماصًا" قال في لامبالاة:

- طلّعوا كتاب الفلسفة ، درس علم الجمال !!

حريق

يتقدم مبتسما مصبحًا علي الجميع بالخير والجمال وسط اندهاش من أصدقائه في المصنع يتعجبون من ابتسامته وأخيرا قال أحدهم

- أنا أعرف السر، اليوم يوم القبض عشان كدا هو مبسوط.

أكد علي كلامه وتوجه إلي الماكنية التي يعمل عليها ، هم لا يعلمون مدي أهمية المرتب بالنسبة له ١٢٠٠ جنية يُخصم منها ٥٠ تأمينات و٣٠٠ لعلاج أمه و٧٠٠ جنيه هي قيمة القسط لجهاز أخته للزواج ، الرجل الجشع أضاف ٣٥٪ علي ثمن الأشياء بعد رفع سعرها الأصلي يتبقي له ١٥٠ جنيه عليه أن يحيا منها طوال الشهر لا يهمه كلام صديقه المثقف الذي قال له ذات يوم

- انهم يحيون علي دمائنا يكسبون آلاف الجنيهات من عملك أنت وأصدقائك ويعطون لك الفتات ويطلبون منك أن تشكرهم ولا تسألهم أي تحسن.

لا يفهم كثيرا من كلامه المهم أنها هانت ، اليوم القسط العاشر وسوف يستطيع أن يتزوج بطريقة القسط ، بعدها يكون له زوجة جميلة وأبناء، يتلقونه وهو عائد من العمل ويقولون له صارخين :

- يا محمود يا مثّيل انت مش حاسس بينا المصنع بيولع !!

تفتحت حواسه فجأة ، الدخان حوله في كل مكان ، صوت طقطقة المكن وشياط المواد الخام، النار تحاصره ، شارك العمال في الإطفاء وتحويل المياه وإخراج العمال بالبطاطين وفتح حنفيات البودرة.

تمزق قميصه وابتل جسده ، في ساعات انهار المصنع بالكامل وسكن الجميع إلّا من إضاءة مفاجئة بفعل كاميرات التليفزيون

- السبب الإخوان لإحراج النظام وتدمير البلد
- السبب النظام عشان يقبض علي الإخوان
- السبب جهات خارجية تدمر الصناعة الوطنية
- السبب ماس كهربائي
- السبب صاحب المصنع عشان ياخد التامين ويمشّي العمال .

سمع كلمة مونتاج ، تذكر أن اليوم هو آخر الشهر ذهب إلي رئيسه المباشر وسأل عن مرتبه نظر إليه من فوق لتحت وقال :-

- مصنع ب١٠٠ مليون جنيه اتحرق وانت جي تقوليّ المرتب إنت عبيط ؟!

نعم أنا عبيط ماذا أفعل فليذهب النظام والإخوان وصاحب المصنع إلي الجحيم،أمه سوف تموت وأخته لن تتزوج وهو سوف يسجن ولن يجد أكلًا ولا موصلات هم لا يعرفون . ولا يشعرون .

النكسة

لبس جلبابه البني الذي جهَّزه للمناسبات ، وألقي علي كتفه شاله الحجازي ، وزّع العمل علي أبنائه لكي يتفرغ للحدث الأهم في هذا اليوم المشرق الجميل ، منذ أسبوع وهو يقنع أصحابه والفلاحين بأهمية المشاركة مرددا الحديث النبوي (من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم) ، يواجه السخرية برحابة صدر .

المهم أن يمر هذا اليوم بسلام علي البلد الذي يمكن أن يضيع علي يد مراهقين لا يعلمون شيئا ولم يدركوا شعوره بالنكسة وكأن يدًا غليظة ضربته علي قفاه ولم يتخلّص من هذا الإحساس إلّا عندما رأي الجنود والطائرات بقيادة الزعيم تحرر الأرض مرة أخري ثم أن الزعيم أصبح لديه خبرة في الحكم مثل خبرته في الزراعة .

لا يخفي عليه الفساد وأمام عينيه فساد الجمعية الزراعية ولكنّ الشعب هو الفاسد ، ومنافس الزعيم أفسد منه .

لاحظ تواجدًا كثيفاً للداخلية برتب مختلفة ، ولكنه لم يهابهم هذا المرة ، هو قادم لمهمة وطنية وعليه أن ينجزها

- رايح علي فين يا حَج ؟

قالها صاحب البدلة البيج التي تلمع نجومها

- رايح استنخب .

- هاستنحب مين يا حَج ؟

- هاستنخب اللي يعجبني التلفيزيون قال إختار اللي يعجبك والصندوق شفاف وانا مواطن حر .

غمز ولمز وسخرية ، التفّوا حوله ، وشعر بيد غليظة تقع علي قفاه ووقع شاله علي الأرض وارتمي عليه وهو يصيح :–

- أنا مواطن حر في بلد ديمقراطي ومش هاقول أنا هَنتخب مين.

عبد الرسول

في ليالي الشتاء يجلس المجنَّدون حول النار التي يشعلونها من الأعشاب الجافة ويزيد الدفء حكايات أسطورية من هنا وهناك ، الصعايدة يفخرون عليهم بقصص أبو زيد الهلالي وخط الصعيد وعزت حنفي وخاصة عندما أوقف القطار وعندما حارب الحكومة، جاء الدور في الحكي إلي خلف الفيومي ولكن أحدهم استبقه بقوله :

- ده كتكوت من الفيوم ، ومفيش عندهم فتوات .

أثارته الكلمة فصار يحكي عن عبد الرسول، عبد الرسول الرجل العتيد ، له قلب أسد وعيون ذئب ، طويل القامة ، إذا مشي هزّ الأرض ، وإذا تكلم يُسمع ، قتل عمَّهُ عندما حاول أن يستولي علي كنز أبيه، وقتل أخاه لانه نظر الي زوجته نظرة تحمل مغزى سيئًا ، طبعًا إحدي نسائه الكثيرات، النساء جميعا تتمنين حضنه ،حكمه في أي قعده كفيل بإنهاء أكبر قضية ومن يرفض حكمه يقبل سلاحه .

قاتل الحكومة ست ساعات ، تراجعت الحكومة وانتصر هو ، راح ابنه الأكبر ضحية ، لم يبك عليه ، ولكنه أخذ مقابلًا له ثلاثة ضباط ، الأرض ملكه يفعل فيها ما يشاء، يستقبل الأطفال بالحلوى، والشيوخ بالأموال ، والفقراء والصوفية بالطعام الكثير ، .لديه من الحشيش والسلاح والآثار ما لاحصر له ، يمشي بين الناس مثل ملك متوج عليه هالة.....

قاطعه أحد الصعايدة ساخرا :

- الفيوم بلد الكتاكيت فيها حدّ كده إنت فشار ووراك خلا
- أقسم بالله أنا مش عارف أوصفه وده أقل حاجة ممكن تتقال عنّه حتى اسألوا أي حد من الفيوم .
- نسأل الضابط أشرف

الضابط أشرف أصله من الأرياف ،ولكنّه يسكن طوال عمره في مدينة الفيوم وخلف كان متأكدًا أن الضابط أشرف سوف يؤكد كلامه لأن حكاية عبد الرسول كانت معروفة بين الناس .

في اليوم التالي اجتمعوا علي النار وبدءوا الحكايات ، وجاء خلف وخلفه الضابط أشرف وقد أعد له مكان أشبه بمنصة صغيرة وهم

يجلسون في مربع ضلع

- إيه يا عسكري الموضوع المهم اللي عايزني فيه؟
- احكيلهم يا باشا عن عبد الرسول .
- بصّوا بقي الفيوم كلها تعرف مين عبد الرسول الفيومي الجدع

عبد الرسول أحسن واحد يعمل كنافة فيك يا بلد .

رش معطر الهواء ، تأكد من نظافة المكان ، وجهز المائدة ووضع الأواني المخصصة بحيث تحافظ علي سخونة الطعام وكأنه خارج من الفرن إلي الفم مباشرة ، يتذكر في لقاء الشهر الماضي ما قاله الحاج عبد الرحمن :

- الدور عندك المرة الجاية عايزين أكل جديد الواحد زهق من الفراخ والبط واللحم والجمبري .

- يعني اخترع أكل جديد.؟!

- وبالفعل اخترع أو اكتشف اكلًا جديدًا عندما كان في زيارة للقاء صاحب أكبر شركة أدوية في مصر- لياخذ توكيلًا منه في المحافظة - الذي قال له :-

- أنا أعرف كل حاجة عندكم انتوا الثلاثة مش مصدق طيب سلم لي علَى علي ابن سعاد (الله يخرب بيتك كيف عرفت زوجتي السرية وابنها منِّي)

أكمل :

- أنا هادرس طلبكم وان شاء الله خير بس لازم تعرف إن كل واحد له مقام معلوم والترقي في السوق له شروط خاصة ، يللا نكمل في المطعم .

أوقف شريط أفكاره دخول الحاج عبد الرحمن ، خماسيني بلحية بيضاء قصيرة ونظارة طبية وعلامة صلاة واضحة ويلبس بدلة صيفية واسعة ووجه مبتسم :

- السلام عليكم يا حاج هاشم أخبار الأكل إيه ؟

- وعليكم طيب اسأل عن الشركة .

- هنشوف أخبار الشركة واحنا بناكل عملت إيه مع الباشا الكبير.؟

-

ذهب معه إلي كافيه ، وجاء وزير الصحة ومحافظ القاهرة ورجال أعمال ، ثم ركبوا إلي صحراء الهرم ووصلوا للمطعم، بمجرد مرورك من الباب تدخل عالما آخر تماما وكأنك هبطت فجأة في غابة إفريقية تسمع تهشم ورق الشجر الجاف تحت قدمك ،ترعبك القرود والأسود والطيور التي تملأ المكان ،والعمال لا يلبسون إلا ملابس بدائية تستر العورة وريش علي الرأس وأجسامهم مغطاة بالأوشام

قال الباشا ضاحكاً

- شكلنا كدا بالبدل شاذّ المرّة الجايه هانيجي عريانين خالص .

خبط الباب الدكتور محسن ، في أوائل الأربعينات يلبس تى شيرت وبنطلونًا جنيز ويبدو علي عينيه السكر.

- مساء الخير يا حاجين

- مساء النور يا خويا نفسي مرة تجي بدري

- كنت في العيادة هانتكلّم ولا ناكل ؟

- هانتكلّم واحنا بناكل .

جلسوا علي السفرة وبدأ الحاج هاشم في رفع الأغطية لتنشر رائحة منعشة ومشبعة بذاتها ومثيرة للشهوات

- المطعم اسمه طرزان ، أكل في جوّ الغابة خدت الرقم وطلبت ديلفري النهادرة الصبح

- وده لحم إيه .؟

- ممكن يكون لحم أسود سم الله وكل .

قال د محسن ضاحكا :

- أخبار الشركه إيه
- تمام الشهر ده المكسب ذاد بنسبة ٥٠٪ بعد ما عرفنا نقفل الشركة المنافسة الشهر اللي فات ، عارفين ، الباشا عارف المقلب اللي عملناه فيهم .
- وده عرف منين يا خويا ؟
- ده عارف كل التفاصيل أولاد الكلب برضه ليهم أساليبهم .
- قطع د محسن قطعة لحم وهو يقول :
- طيب إيه رأيه في عرضنا؟

قال هَيرد الأسبوع الجاي بس لَح بحاجة كدا .

وضع د عبد الرحمن قطعه لحم في فم د محسن :

- انت بتحط الأكل في بُقُه ليه ، واخدين بعض علي حب؟

آه ما انا ناسي هوَّ إخوان وانت ثوري أنا الفلول الوحيد اللي فيكم .

- ما هيَ إلّا أسماء سماها الناس ثوار ، إخوان ، فلول ، يسار ، يمين ، السوق ميعرفش الأسماء السوق بيصهر الجميع داخله ويعيد تشكليهم رغم اختلاف المظاهر
- لسّه عندك أفكار شيوعية .
- أفكار شيوعية وانا معكم ؟ المهم لَح بإيه .؟
- عايز واحدة .

- واحدة إيه ؟
- هتكون واحدة بتيزا ؟!! واحدة ست
- ليه ؟ هو بتاع نسوان مش باين عليه ، الواحد لما بيسمعه في التليفزيون يبقي ناقص يعيّط من كلامه وتقواه.
- كلها مظاهر يا حَج أنا اللي هقولّك برضُه ؟! بس هنعمل معاه إيه ؟
- أنا عندي بنت في المستشفي أبوها مات عندنا ، وكان عليه عشر تلاف جنيه أولاده الرجاله قعدوا يعيطوا ويقولوا نجيب منين أصله عمل حادثة جنب المستشفي، شرب مشروب غازي وراحتة لحم مشوية .

قلت لهم مش هتاخدوا أبوكم إلّا لما تجيبوا الفلوس الأوّل

- يا راجل حرام عليك دانت بتشرب بيهم حشيش.
- وانت كنت هتوافق تسيب حقك ؟
- لا طبعًا كمّل .
- راحوا بلدهم جمعوا ست تلاف ، قلت لُهم اشتغلوا بالباقي قالوا مش فاضيين وجابوا اختهم بنت محترمة بس مزّة ممكن نجرّب معاها .
- يجعلُه عامر يا حَج هاشم الأكل رائع كنت عايز طلب

للبيت .

- ماشي بس اوعي تنسَي المرّة الجاية القعدة عندك .
- هنجيب منين أكل حلو كدا ؟
- اصرف يا حَج ، هاكلملك طرزان .
- أيوة يا بني كنت عايز طلب .
- ماشي ... إمتي ؟
- بكرة العصر
- خلاص... ماشي..
- وانت زعلان كدا ليه أكيد مش بتعرف تاكل من الأكل الغالي بتاع المطعم .
- لا أصلي هَسيب الشغل النهادره .
- ليه بس ؟
- أصلي عرفت انّ المطعم بيقدّم لحوم بشرية

الحلم

نظر إلي انعكاس وجهه في المرآة عيناه محمرتان ، ولحيته عشوائية، ملابسه مبهدلة ، أين هو منه ، منذ عشر سنوات كان حلمًا لكل بنات القرية ،الزواج ، الاولاد ، الرغبة الملحة في بيت مستقل . ما ترتب عنه من ديون للصنايعية ، ديون متراكمة ، قضايا مرفوعة عليه بالبناء بدون ترخيص قال لها مبتسما:

- تعالي نفكّر بشكل مختلف زيّ بتوع التنمية البشرية اللي انتِ بتحبّيهم .
- يعني نعمل إيه ؟
- نفكّر بشكل مختلف وجذري نبيع البيت .
- نعم يا خويا ، بصّ بقي يا انا يا البيت أنا مش مستعدة أقعد بالايجار تاني إنت شوف لك حل أنا ماصدقت بقي عندي بيت مستقل .
- طيب أنا مش راجع إلّا لمّا أحلّ الموضوع ده نهائيا .

دفع مكيف الهواء ، أصابته لسعة الهواء البارد الآتية من المكيف بعد ان اعتاد علي حر أغسطس .

- محمد كنت عايز فلوس .

- أنا عايش علي باب الله .

- احمد ربنا وافتكر إن فلوسي هي أساس المشروع بتاعتك .

- أنا هاقسّط ليك فلوسك ، كلّ شهر ألف جنيه علي خمس شهور ، ولو مش عاجبك روح ارفع عليّ قضية .

خرج من المحل غاضبا يكاد لا يرى أمامه حتّى تفاجأ بسيارة أمامه، طار في الهواء واستمر في الطيران لأعلي سمع كلمات الإسعاف ،نزيف داخلي ،هوّ وقِفْ قدّامي مرة واحدة ، كان ماشي يكلّم نفسه .

وسط سحابة سوداء من النساء صرختْ : أنا السبب يا خويا ربنا يرحمك .

بعد ثلاثة أيام من الحداد عزّاها قائلا : -

- أنا محمد صديق المرحوم كان فضله كبير عليّ هوّ كان له عندي عشرة تلاف جنيه اتفضلي وانا هَتابع المعاش ونهاية الخدمة وقضية البيت هتسقط بالوفاة مش عايزك تشغلي نفسك بحاجة .

زارها في المنام بشكل مبتسم وقال لها :

أنا قلت لك هَحِلّ المشكلة .

سيرة ذاتية

الاسم : عيد رمضان كامل.

مدرس علم نفس وفلسفة .

- يكتب القصة القصيرة والمسرح .
- تم مشاركة أحد أعماله في كتاب جامعة الفيوم عن أدباء المحافظة .
- شارك بقصة قصيرة في الكتاب الجماعي لسّه ما بينّا كلام عن دار بوك هاوس للنشر والتوزيع .
- شارك في مؤتمر أدباء مصر المنعقد بجامعة القاهرة سنة ٢٠٠٦ .

الفهرس